

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

مركز الأوقاف للدراسات والبحوث الدينية

مهارات التواصل الدعوي في السنة النبوية

تأليف

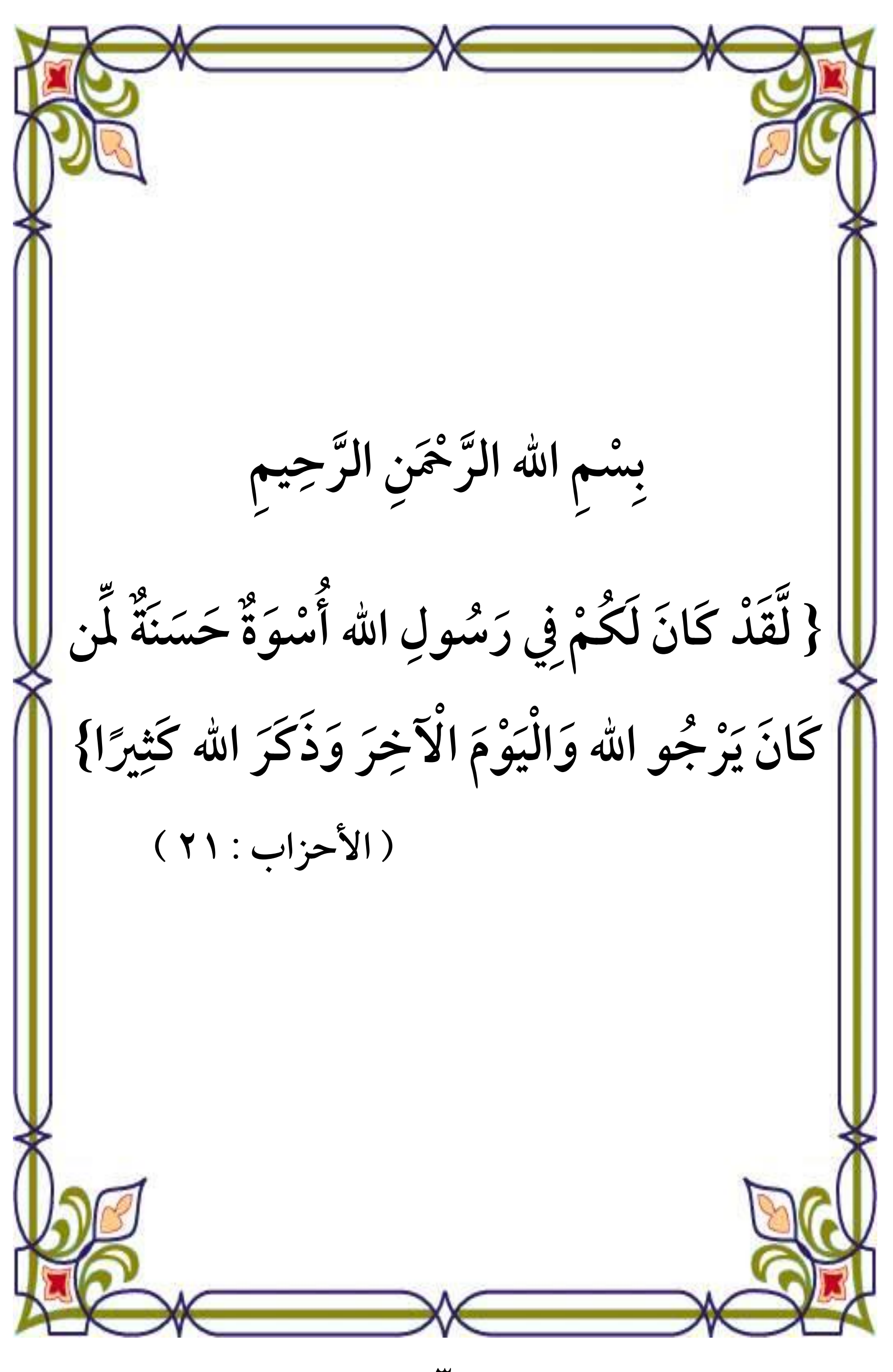
أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤١هـ /٢٠١٩م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا}

(الأحزاب : ٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعــد :

فيقول الحق سبحانه : " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" ، ويقول سبحانه :"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " ، ويقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " بلغوا عني ولو آية" ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " نضَّر الله امرأً سَمِع مقالتي فوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ "، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " فو الله لأنْ يهْدِيَ الله بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم".

ويقول الحق سبحانه : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ "، ويقول سبحانه: "وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" ، حيث أنجى الله (عز وجل) الفئة التي تنهى

عن السوء فحسب ، وأخذ من سواهم من الظالمين بعذاب بئيس، سواء في ذلك من اعتدوا في السبت أم من كانوا سلبيين في مواقفهم ، فكلا الطائفتين ظالم لنفسه مبين ، وفي الحديث النبوي الشريف أن الله (عز وجل) أمر ملائكته بإهلاك قرية من القرى فقالوا : إن فيها فلانًا الصالح ، فقال رب العزة (عز وجل) : "ابدءوا به ، إنه رأى المنكر ولم يتغير وجهه من أجلي" .

مع تأكيدنا أن مهارات التواصل الدعوي تتطلب الإلمام الكافي بالتعامل مع سائر وسائل التواصل العصرية والتكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة بمهارات فائقة تواكب العصر ومستجداته ومتطلباته .

ومن ثمة فإن على كل عالم أو واعظ مخلص أن يبذل أقصى طاقته في سبيل تحقيق هذا البلاغ ، مع الأخذ بكل الأسباب ووسائل ومهارات وأدوات التواصل التي تعينه على إبلاغ دعوته بلاغًا مبينًا ، وأن يكون قدوة بأعماله قبل أقواله ، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " ، وقد قالوا حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألفٍ في رجل ، ومن ثمة كانت الدعوة بالقدوة ، من أهم أساليب الدعوة إلى الله (عز وجل) .

كما ينبغي أن تكون الدعوة إلى الله (عز وجل) بالحكمة والموعظة الحسنة ، حيث يقول الحق سبحانه : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ"، ويقول سبحانه : " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ".

ولا يمكن أن تكون الدعوة حكيمة حسنة ما لم تكن الطريقة والوسيلة كذلك ، فالجار والمجرور في قوله تعالى : " بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " متعلق بقوله تعالى : "ادعُ" ، فعلينا أن نكون دعاة لا قضاة ولا جلادين ، وأن نكون مبشرين ميسرين لا مشددين ولا معسرين ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "يسِّروا ولا تعسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفِّروا" ، وما خير نبينا (صلى الله عليه وسلم) بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ولا قطيعة رحم فإن كان إثمًا أو قطيعة رحم كان (صلى الله عليه وسلم) أبعد الناس عنه ، وقد وصفه ربه (عز وجل) بأنه رءوف رحيم فقال سبحانه : "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ "، وقال سبحانه: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ".

فما أجمل أن نقتدي بهديه (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله (عز وجل) بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نكون ميسرين على الناس لا معسرين ولا مضيعين ، وأن نكون قدوة حسنة بأخلاقنا وقيمنا وأفعالنا ، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نعم القدوة الحسنة لأزواجه ، وأبنائه ، وأحفاده ،

وأصحابه ، وأمته ، والناس أجمعين ، حيث يقول الحق سبحانه : "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا" ، وأن نبذل وسعنا في بيان يسر الإسلام ورحمته وسماحته وسائر جوانبه الحضارية والإنسانية ، بما يحقق الهدف الأسمى لرسالة الإسلام التي جاء بها خير الأنام محمد (صلى الله عليه وسلم) لتكون رحمة للعالمين .

نسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا الإخلاص والقبول والسداد والتوفيق في القول والعمل ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

السنة النبوية ومكانتها في التشريع

عندما نتحدث عن السنة النبوية المشرفة إنما نتحدث عن المصدر الثاني للتشريع ، فقد أجمع علماء الأمة وفقهاؤها وأصوليوها على حجية السنة النبوية، وأن طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من طاعة الله (عز وجل)، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا "[١]، ويقول سبحانه : "وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[٢].

ويقول سبحانه :" قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"[٣] ، ويقول سبحانه :" وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [٤] ، ويقول سبحانه: "وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" [٥] ، ويقول سبحانه:" قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ١٣٢ .

(٣) آل عمران: ٣٢ .

(٤) الأنفال : ٤٦ .

(٥) المائدة : ٩٢.

الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " [1].

ويقول سبحانه :" مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" [2] ، ويقول سبحانه:" وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَىٰ بالله عَلِيمًا" [3] ، ويقول سبحانه : " وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " [4] ، ويقول سبحانه "تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [5] ، ويقول سبحانه : "وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا" [6] ، ويقول سبحانه :" إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

---

(١) النور : ٥٤.

(٢) النساء : ٨٠.

(٣) النساء : ٦٩، ٧٠ .

(٤) الأحزاب : ٧١.

(٥) النساء : ١٣.

(٦) الفتح : ١٧ .

وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" [1] ، ويقول سبحانه:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَّحِيمًا" [2] ، ويقول سبحانه : "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ"[3].

* * *

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة النزول على حكم النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته ، وعلى مقتضى سنته الشريفة في حياته وبعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"[4].

ويقول سبحانه : "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا"[5] .

---

(١) النور : ٥١-٥٢ .

(٢) النساء : ٦٤ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) النساء : ٦٥.

(٥) الأحزاب : ٣٦.

وقد نهى الحق سبحانه وتعالى وحذر من مخالفة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال سبحانه : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(١) ، ويقول سبحانه :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ "(٢) ، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ "(٣).

ويقول سبحانه :" وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا"(٤) ويقول سبحانه :" وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ "(٥) ، ويقول سبحانه :" وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا "(٦).

---

(١) النور : ٦٣ .

(٢) محمد : ٣٣ .

(٣) الأنفال: ٢٠-٢٣ .

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) النساء: ١٤.

(٦) الجن: ٢٣.

وبين لنا الحق سبحانه وتعالى أن كل توجيه يصدر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هو وحي يوحى ، حيث يقول سبحانه :" وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"(1) ، وأنه (صلى الله عليه وسلم) إنما يدعونا لما يحيينا ، حيث يقول الحق سبحانه:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"(2).

وقد جعل الحق سبحانه طاعة رسول الله واتباع سنته (صلى الله عليه وسلم) سببًا لمرضاته (عز وجل) وحبه ، وبابًا لمغفرة الذنوب ، فقال سبحانه: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(3).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله كَمَا حَرَّمَ الله"(4) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "دَعُونِي مَا

---

(1) النجم: ١-٤ .

(2) الأنفال: ٢٤ .

(3) آل عمران : ٣١ .

(4) سنن الترمذي، كتاب العلم ، بَاب مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم (٢٦٦٤)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة: الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى، قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله ؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى"[2].

وعن عبد الله بن عبَّاس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " تركتُ فيكم أيُّها الناس ما إنِ اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا : كتاب الله ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ "[3] ، وعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة "[4] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم (٧٢٨٨) ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، نشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٢) صحيح البخاري ، نفس الموضع السابق ، حديث رقم (٧٢٨٠) .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٧١، حديث رقم (٣١٨) دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٤) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ ، حديث رقم (٤٦٠٧) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر: المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

فَلَيْسَ مِنِّي)[1] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَـدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَـانِي فَقَدْ عَصى الله)[2].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) : ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا ، إِحْدَاهَا : قَوْله تَعَالَى :" أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"[3] فَمَنْ أَطَاعَ الله وَلَمْ يُطِعْ رَسُولَهُ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَالثَّانِيَةُ : قَوْله تَعَالَى:" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" [4] فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يُزَكِّ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، الثَّالِثَةُ : قَوْله تَعَالَى:" أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ "[5] فَمَنْ شَكَرَ الله وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَلِذَا قَالَ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "رِضَا الله فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ ، وَسَخَطُ الله فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ"[6].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح ، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ ، حديث رقم (١٤٠١).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأَحْكَامِ ، باب قَوْلِ الله تَعَالَى { وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ، حديث رقم (٧١٣٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإِمَارَةِ ، بَاب وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، حديث رقم (١٨٣٥).

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) البقرة : ٤٣ .

(٥) لقمان : ١٤ .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ١٧٧ ، باب في بر الوالدين ، حديث رقم (٧٨٣٠) ط: دار الكتب العلمية ، بيروت .

ونقل ابن رجب الحنبلي[1] عن الإمام أحمد بن حنبل[2] (رحمه الله) أنه قال: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ : حَدِيثُ عُمَرَ : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ : "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" ، وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ" [3].

وعن أبي داود السِّجِسْتاني[4] أنه قال : الْفِقْهُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَحَادِيثَ : "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ"، وَقَوْلِهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ، وَقَوْلِهِ "الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ، وَقَوْلِهِ "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" ، وَقَوْلِهِ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ" ، "وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" [5].

---

(١) هو: أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ، المعروف بابن رَجَب الحنبلي، ولد في بغداد ٧٣٦هـ ، حافظ للحديث، بلغ درجة الإمامة في فنونه ، من أعلام المذهب الحنبلي ، من أهم مؤلفاته : جامع العلوم والحكم ، ولطائف المعارف، توفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ . الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٥ ، نشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

(٢) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي، وُلد في بغداد سنة ١٦٤هـ، رابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي، توفي سنة ٢٤١هـ. (سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (المتوفى :٧٤٨هـ) ١١/ ١٧٧، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، نشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/ ٦١، ط: دار المعرفة ، بيروت.

(٤) هو الإمام أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان ، صاحب كتاب السنن وهو أحد الكتب الستة ، توفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ (سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣) ط الرسالة ، والأعلام للزركلي ٣/ ١٢٢).

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٦٢.

ولا يجادل في مكانة السنة النبوية المشرفة وحجيتها وعظيم منزلتها إلا جاحد أو معاند لا يعتد بقوله ، فقد أجمع أهل العلم على أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع ، ومن ثمة كانت العناية الفائقة بها ، حفظًا ، وروايةً ، وتدوينًا ، وتخريجًا ، وشرحًا ، واستنباطًا للأحكام ، غير أن وقوف بعض قاصري الفهم عند ظواهر النصوص دون فهم مقاصدها قد أدى إلى الجمود والانغلاق في كثير من القضايا ، وهو ما يجعل الحديث عن الفهم المقاصدي للسنة النبوية أمرًا ضروريًّا وملحًّا لكسر دوائر الجمود والانغلاق والتحجر الفكري.

ولا شك أن السنة جاءت شارحة ومبينة ومتممة للقرآن الكريم ، يقول الحق سبحانه وتعالى:" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[1]، ويقول سبحانه:" وَأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيمًا "[2] ، ويقول سبحانه: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[3]، ويقول سبحانه:" وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) النساء : ١١٣.

(٣) الجمعة : ٢ .

يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[1]، وقال (عز وجل): "وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ إِنَّ الله كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا"[2].

فقد ذكر الحسن البصري[3] والإمام الشافعي[4] (رحمهما الله) وغيرهما من أهل العلم وكثير من المفسرين أن الحكمة هنا هي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[5].

وقد تحدث العلماء والفقهاء والأصوليون عن حجية السنة حديثًا مستفيضًا ، يقول الإمام الشافعي (رحمه الله) : وضع الله (عز وجل) رسولَه (صلى الله عليه وسلم) من دينه وفرضِه وكتابِه الموضعَ الذي أبان – جل ثناؤه – أنه جعله علَمًا لدِينه بما افترض من طاعته ، وحرَّم من معصيته ، وأبان من فضيلته بما قرن بالإيمان برسوله (صلى الله عليه وسلم) مع الإيمان

---

(١) البقرة: ٢٣١ .

(٢) الأحزاب: ٣٤ .

(٣) هو: الحسن بن يسار البصري ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، مات سنة ١١٠هـ . (الأعلام للزركلي ٢/ ٢٢٦).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ القرشيّ ، ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي ومؤسس علم أصول الفقه ، ولد (رحمه الله) بغزة عام ١٥٠هـ، ومن أهم مؤلفاته: كتاب الأم، والرسالة ، وهو أول كتاب صنف في علم أصول الفقه، توفي في مصر سنة ٢٠٤هـ . (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٦).

(٥) راجع في ذلك: تفسير الطبري وابن كثير وغيرهما للآية (١٢٩) من سورة البقرة.

به ، فقال تبارك وتعالى :" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[1]، فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبعٌ له الإيمـانَ بالله ورسوله ، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله لم يقـع عليه اسم كمال الإيمان أبدًا حتى يؤمن برسوله معه [2] .

ويقول (رحمه الله) : لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا نَسَبَهُ النَّاسُ أَوْ نَسَبَ نَفْسَهُ إلَى عِلْمٍ يُخَالِفُ فِي أَنْ فَرَضَ الله عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعَ أَمْرِ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتسليمَ لحكمه بأن الله (عز وجل) لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه ، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأن ما سواهما تبع لهما وأن فرض الله تعالى علينـا وعلى من بعـدنـا وقبلنـا في قبـول الخبـر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واحد[3] .

ويقول ابن حزم [4] (رحمه الله) : في أيِّ قرآن وُجِد أن الظهر أربع ركعات ، وأن المغرب ثلاث رَكَعَات ، وأن الركوع على صفة كذا ،

---

(١) الحجرات : ١٥.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي: تحقيق: الشيخ أحمد شاكر ج ١/ ص٧٥ ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٣) الأم للشافعي: كِتَابُ جِمَاعِ الْعِلْمِ ج ٧/ ص ٢٨٧ ، ط: دار المعرفة ، بيروت.

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، من أكبر علماء الأندلس ، من أهم مؤلفاته : المحلى ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإحكام في أصول الأحكام ، طوق الحمامة ، توفي سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤م. (الأعلام للزركلي ج٤ / ص ٢٥٤).

والسجود على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها والسلام ، وبيان ما يُجْتَنَب في الصوم ، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة ، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة ، وصفة الصلاة بها وبمزدلِفة ، ورمي الجمار، وصفة الإحرام ، وما يُجْتَنَب فيه ، وقطع السارق ، وصفة الرَّضاع المحرم ، وما يحرم من المآكل، وَصِفَتَا الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود ، وصفة وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا ، والأقضية والتداعي ، والأيمان ، والأحباس ، والْعُمْرَى ، والصدقات وسائر أنواع الفقه؟ وإنما في القرآن جُمَل لو تُركنا وإياها لم نَدْرِ كيف نعمل بها؟ وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقلُ عن النبي (صلى الله عليه وسلم)[١].

ويقول الشوكاني[٢] (رحمه الله) : اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وقد ثبت عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "أَلا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"[٣] أي : أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن ، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وتحريم

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ج٢/ ص ٧٩ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهم مؤلفاته : نيل الأوطار، وفتح القدير، توفي بصنعاء ١٧٥٩هـ-١٨٣٤م (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨).

(٣) مسند أحمد ، ج ٢٨/ ص ٤١٠ ، حديث رقم (١٧١٧٤).

كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر[1].

ويقول : والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام[2].

ويقول الألوسي[3] (رحمه الله):{أَطِيعُواْ الله} أي : الزموا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه {وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ} المبعوث لتبليغ أحكامه إليكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أيضًا ، وأعاد الفعل - وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى - اعتناء بشأنه (عليه الصلاة والسلام) وقطعًا لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن ، وإيذانًا بأن لـه (صلّى الله عليه وسلّم) استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره[4].

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ، ج ١ / ص ٩٦ ، ط: دار الكتاب العربي .

(٢) المصدر السابق ، ج ١/ ص ٩٦.

(٣) هو : محمود شهاب الدين الألوسي ، نسبة إلى مدينة ألوس وهي جزيرة في وسط نهر الفرات بمحافظة الأنبار، مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر، تقلد الإفتاء ببلده عام ١٢٤٨هـ ، ثم انقطع للعلم، من أهم مؤلفاته: تفسير روح المعاني، توفي سنة ١٨٠٣هـ- ١٨٥٤م . (الأعلام للزركلي ، ج ٧/ ص١٧٢).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، ج ٥/ ص ٦٥ ، ط: دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ويقول الأستاذ / عبد الوهاب خلاف [١] (رحمه الله) : السنة إما أن تكون سنة مفصّلة ومفسِّرة لما جاء في القرآن مجملاً ، أو مقيِّدة ما جاء فيه مطلقًا ، أو مخصِّصَة ما جاء فيه عامًّا ، فيكون هذا التفسير أو التقييد أو التخصيص الذي وردت به السنة تبيينا للمراد من الذي جاء في القرآن ، لأن الله سبحانه منح رسوله حق التبيين لنصوص القرآن بقوله عز شأنه : "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"[٢] ، ومن هذا : السنن التي فصلت إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، لأن القرآن أمر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، ولم يفصل عدد ركعات الصلاة ، ولا مقادير الزكاة ، ولا مناسك الحج ، والسنن العملية والقولية هي التي بَيَّنت هذا الإجمال؟ وكذلك "وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا "[٣]، والسنة هي التي بَيَّنَت صحيح البيع وفاسده ، وأنواع الربا المحرم ، والله حرم الميتة ، والسنة

---

(١) هو المحدث الأصولي، الفقيه، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، ولد سنة ١٨٨٨م ، صاحب المؤلفات الكثيرة خصوصًا في علم أصول الفقه، عين قاضيًا بالمحاكم الشرعية سنة ١٩٢٠م ثم نقل مديرًا للمساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٩٢٤م وبقي بها حتى عين مفتشًا بالمحاكم الشرعية في منتصف سنة ١٩٣١م. انتدبته كلية حقوق جامعة القاهرة مدرساً بها في أوائل سنة ١٩٣٤م وبقي أستاذا للشريعة الإسلامية حتى أحالته إلى المعاش سنة ١٩٤٨م، توفي ١٣٧٥هـ، (انظر ترجمته في مقدمة كتابه (علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع) ص ٣ .

(٢) النحل: ٤٤ .

(٣) البقرة : ٢٧٥ .

هي التي بينت المراد منها ما عدا ميتة البحر وغير ذلك من السنن التي بينت المراد من مجمل القرآن ومطلقه وعامه ، وتعتبر مكملة له وملحقة به [١].

وتأسيسًا على كل ما سبق من نصوص القرآن الكريم وسنة الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأقوال أهل العلم ، يتضح لنا إجماع أهل العلم على عظيم مكانة السنة النبوية ، وعلى حجيتها شارحة ومفسرة ومبينة ومتممة ، لا يجادل في ذلك إلا جاحد أو معاند ، أو شخص لا حظَّ له في العلم ، ولا يعتد برأيه عند أهل الاعتبار والنظر.

* * *

(١) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ص ٤٠ ط: مطبعة المدني بمصر.

رسـول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم)

نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الإنسانية ورسولها ، سواء من حيث كون رسالته جاءت رحمة للعالمين ، أم من حيث كونها للناس كافة ، حيث يقول الحق سبحانه :"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"[1]، وحيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"[2] ، أم كان ذلك من جهة ما تضمنته الرسالة من جوانب الرحمة والإنسانية وتكريم الإنسان لكونه إنسانًا بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو لغته ، حيث يقول الحق سبحانه : "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"[3] ، أم من حيث مراعاته (صلى الله عليه وسلم) للأبعاد الإنسانية في جميع معاملاته وسائر تصرفاته.

ويتجلى البعد الإنساني في حياة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معاملته لأصحابه وأزواجه وأحفاده والناس أجمعين ، فكان خير الناس لأهله ، وهو القائل عن أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) : " آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي

---

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب منه رقم ١٣٩، حديث رقم ٣٣٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب منه ، حديث رقم ١١٩١ .

(٣) الإسراء : ٧٠ .

النَّاسُ، وَرَزَقَنِي الله (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"[1] ، وظل وفيًّا لها طوال حياتها حتى بعد وفاتها ، فكان يكرم صديقاتها ومن كن يأتيه على عهدها ، فقد جاءت عجوز إلى بيته (صلى الله عليه وسلم) فقال لها : مَنْ أَنْتِ ؟ " قَالَتْ : أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ : " بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟" قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قالت عائشة : يَا رَسُولَ الله ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ : " إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"[2].

وكان شديد الحب لأحفاده شديد الحفاوة والعناية بهم ، فعن أبي بكرة قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر والحسن بن علي معه ،

---

(١) مسند أحمد: ج٥٤/ ص ٢١٥، حديث رقم ٢٥٦٠٦ . وفي صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تَزْوِيجُ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) خَدِيجَةَ ، وَفَضْلُهَا (رضى الله عنها) ، حديث رقم ٣٨١٨ ، ولفظه : عَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ . فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، ذكر حديث معمر ، حديث رقم ٤٠ . وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ . ووافقه الذهبي . وقد ترجم الإمام البخاري بجزء من المتن لأحد أبواب صحيحه ، وذلك في كتاب الأدب ، بَابٌ حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ ، حديث رقم ٦٠٠٤ . ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْهَا)، قَالَتْ: (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ... الحديث .

وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولما رآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن والحسين ، قَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ" وفي رواية: " أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ الله مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ "[1].

وكان (صلى الله عليه وسلم) أرحم الناس بالناس وبخاصة الأطفال والضعفاء حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"[2] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " ... فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ "[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ، حديث رقم ٥٩٩٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رَحْمَتِهِ (صلى الله عليه وسلم) الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم ٦١٦٩ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، بَاب مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ ، حديث رقم ٧٠٧ . وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَامٍ ، حديث رقم ١٠٨٣ . ولفظه: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فِى الصَّلاَةِ فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ) .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الْغَضَبِ فِى الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، حديث رقم ٩٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَامٍ ، حديث رقم ١٠٧٤ .

وها هو (صلى الله عليه وسلم) تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام) ، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) : وأنت يا رسول الله ؟! فيقول (صلى الله عليه وسلم) : "يا ابن عوف إنها رحمة " ثم قال: " إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ "[1].

وسجد (صلى الله عليه وسلم) يومًا فأطال السجود ، فلما قضى الصلاة ، قال الناس: يَا رَسُولَ الله ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَي صَلاَتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ، قَالَ : " فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ "[2].

وعن أبي قتادة الأنصاري (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "كَانَ يُصَلِّي وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا"[3] .

---

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ" ، حديث رقم ١٣٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رَحْمَتِهِ (صلى الله عليه وسلم) الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ ، حديث رقم ٦١٦٧، ولفظه: " تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا والله يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ".

(٢) سنن النسائي ، كتاب التطبيق ، باب هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ حديث رقم ١١٤١ .

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إِذَا حَمَلَ جَارِيَةً صَغِيرَةً عَلَى عُنُقِهِ فِى الصَّلاَةِ، حديث رقم ٥١٦ . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب جَوَازِ حَمْلِ الصِّبْيَانِ فِى الصَّلاَةِ ، حديث رقم ١٢٤٠ .

وعندما كان (صلى الله عليه وسلم) يخطب على المنبر وجد الحسن والحسين يتعثران فنزل من على المنبر واستلمهما وقبلهما ، فعن عَبْد الله بْن بُرَيْدَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : "صَدَقَ الله ": " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ " نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَـــا)[1].

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عن سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) : "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ "[2] ، وفي رواية أنه (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي"[3] ،

---

(١) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب الإِمَامِ يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلأَمْرِ يَحْدُثُ ، حديث رقم ١١٠٩ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ، حديث رقم ٣٧٧٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِى الْمَسْجِدِ ، حديث رقم ٤٦٦ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) ، حديث رقم ٣٦٦٠ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لو كنت متخذًا خليلاً حديث رقم ٣٦٦١.

وكان يقول عن سيدنا سلمان الفارسي: "سلمان منا آل البيت"[١] ، ولما عاد سيدنا جعفر بن أبي طالب من فتح خيبر ، قبَّله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين عينيه والتزمه ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟"[٢].

وعلمنا (صلى الله عليه وسلم) الجود الإنساني والذوق الراقي في آن واحد فقال (صلى الله عليه وسلم): " لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"[٣] ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " ... لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا ، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ "[٤] ، سواء من جهة المعطية المنفقة التي لا ينبغي أن تستحي من قلة ما تملك فتحجم عن العطاء ، فرب درهم سبق ألف درهم ، يقول (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ الله عَنْهُمْ) ، ذِكْرُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ ، حديث رقم ٦٥٣٩. وتعقبه الذهبي في التلخيص قال : سنده ضعيف ، وقال في " سير أعلام النبلاء ج١ / ص ٥٤٠: في إسناده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، وهو متروك .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، مِنْ كِتَابِ الْهِجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ ، حديث رقم ٤٢٤٩ . وقال الذهبي في التلخيص: صحيح .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، حديث رقم ٦٨٥٧ .

(٤) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب منه ، حديث رقم ٢٥٦٦ .وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ وَلاَ تُمْتَنَعُ مِنَ الْقَلِيلِ لِاحْتِقَارِهِ ، حديث رقم ٢٤٢٦ .

كَسْبٍ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ الله إِلاَّ الطَّيِّبَ – وَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ "[1] ، أم كان ذلك من جهة الآخذة أو الآخذ ، إذ لا ينبغي أن نُحرج المعطي أو المهدي وإن كان ما يهديه قليلاً ، بل علينا أن نشكر له صنيعه وإن كان يسيرًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله "[2]، وهو ما أكده سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) في حديثه عن الوصايا العشر في سورة الأنعام .

ومن هنا فإن إعلاءنا للقيم الإنسانية ليس أمرًا ثانويًّا أو مجرد أمر إنساني ، إنما هو عقيدة وشريعة ودين ندين به لله (عز وجل) ، فبدل أن تتناحر الأمم والشعوب وتتقاتل ويعمل بعضهم على إفناء أو إضعاف أو إنهاك أو تفتيت بعض ، فليتعاون الجميع لصالح البشرية جمعاء ، حيث يقول الحق سبحانه: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، حديث رقم ١٤١٠. وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا ، حديث رقم ٢٣٨٩ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، حديث رقم ١٩٥٤ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

ولو أن البشرية أنفقت على معالجة قضايا الجوع والفقر والمرض والتنمية معشار ما تنفق على القتال والحروب والتخريب والتدمير ، لتحول حال البشرية إلى ما يصلح شئون دينها ودنياها.

* * *

النبي القدوة (صلى الله عليه وسلم)

كان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خُلقًا ، وأصفاهم نفسًا ، وأحسنهم معاملة ، فكان نعم القدوة في حياته كلها ، حيث يقول الحق سبحانه : " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا "[1].

فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعين أهله ويساعدهم في حاجتهم وفي شئون البيت ، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنه (صلى الله عليه وسلم) :" كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ "[2]. وسأل رجل السيدة عائشة (رضي الله عنها) ما كان النبي(صلى الله عليه وسلم) يصنع في بيته؟ قالت : " كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ "[3] ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن النَّبِيّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ :" خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي "[4] .

---

(١) الأحزاب : ٢١.

(٢) مسند أحمد ، ج ٥٤/ ص ٢٥٤، حديث رقم ٢٥٦٤٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، بَاب مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَخَرَجَ ، حديث رقم ٦٧٦ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٤٢٦٩ .

وكان (صلى الله عليه وسلم) خير الناس لأمته ، حيث يقول : " مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ"[1] ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا ، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي وَأَنَا مَوْلاَهُ "[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا"[3] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) "أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَلَا قَوْلَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) فِي إِبْرَاهِيمَ : "رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[4] ، وَقَالَ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : " إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[5] ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: " اللهمَّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي" وَبَكَى ، فَقَالَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ

---

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب النَّبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، حديث رقم ٤٧٨١ .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم : صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، حديث رقم ٦٣٠٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب اخْتِبَاءِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لأُمَّتِهِ، حديث رقم ٥١٢ .

(٤) إبراهيم : ٣٦

(٥) المائدة : ١١٨

أَعْلَمُ ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ الله : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ"[1].

وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، ادْعُ الله لِي، فَقَالَ: " اللهمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ" ، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حَجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ ، قَالَ لَهَا رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟" فَقَالَتْ : وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟ ، فَقَالَ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " وَالله إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ"[2].

وقد كان (صلى الله عليه وسلم) أحفظ الناس للعهود ، وأوفاهم بالمواثيق ، وأكثرهم أداء للأمانات ، ومن ثمة ترك الإمام علي (رضي الله عنه) ليلة الهجرة ليؤدي الأمانات لأصحابها من أهل مكة ، وهم الذين آذوه وأخرجوه وحاولوا قتله ، ولكن لم يقابل (صلى الله عليه وسلم) السيئة إلا بالتي هي أحسن .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، حديث رقم ٥٢٠ .

(٢) صحيح ابن حبان ، كتاب إِخْبَارِهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ مَنَاقِبِ الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) ، ذِكْرُ مَغْفِرَةِ الله جَلَّ وَعَلَا ذُنُوبَ عَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، حديث رقم ٧١١١ .

فوفاؤه (صلى الله عليه وسلم) كان مضرب المثل في جميع جوانب حياته، ومن ذلك وفاؤه لوطنه ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب وطنه مكة حبًّا جمًّا ، فلما خرج (صلى الله عليه وسلم) من مكة نظر إليها نظرة المحب الوفي ، وودّعها ، وهو يقول : "والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله ، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله ، ولولا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"[1] ، ولما عاد إليها بعد سنوات دخلها فاتحًا ، فرحًا ، وعفا عن أهلها برغم ما فعلوه معه ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحبُّ عائشةَ ، ويحبُّ أَبَاهَا ، ويحبُّ أسامةَ ، ويحب سبطَيْه ، ويحب الحلواء والعسل ، ويحب جبل أُحُدٍ ، ويحب وطنه"[2]، وقال عبد الملك بن قَرَيْبٍ الأصمعي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوُّقه إلى أهله ، وبكائه على ما مضى من زمانه[3].

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في فَضْلِ مَكَّةَ ، حديث رقم: ٤٣٠٤ . وسنن ابن ماجه في أبواب المناسك ، باب فضل مكة ، حديث رقم ٣٢٢٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، ج ١٥/ ص ٣٩٤ ، ترجمة رقم ٢١٦ ، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ، ط: دار إحياء التراث العربي ، ج ١/ ص ٣٤٧، والآداب الشرعية لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، ج ١ / ص ٢٩٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عمر القيَّام . ط : مؤسسة الرسالة .

ومن وفائه لأعدائه ما روي عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما) قال: "مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي – حُسَيْلٌ – قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ: "انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ"[1] .

ومن مواقفه (صلى الله عليه وسلم) في الوفاء ما روي عنِ أبي رافعٍ أنه قالَ بعثتني قريشٌ إلى رسولِ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) فلَمَّا رَأيتُ رسولَ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) أُلْقِيَ في قَلبي الإسلامُ ، فقُلتُ : يا رسولَ الله إنِّي والله لا أرجعُ إليهِم أبدًا ، فقالَ رسولُ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) : "إنِّي لا أخيسُ بالعَهْدِ ولا أحبسُ البُرُدَ ، ولَكِنِ ارجع ، فإن كانَ في نفسِكَ الَّذي في نَفسِكَ الآنَ فارجِعْ"، قالَ : فذَهَبتُ ، ثمَّ أتيتُ النَّبيَّ (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) فأسلَمتُ [2].

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يعامل أصحابه أفضل معاملة ، يجيب دعوتهم ، ويزور مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، ويشاركهم في أفراحهم

---

(1) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم ٣٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم ٢١٩.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يستجن به في العهود ، حديث رقم ٢٧٥٨ .

وأحزانهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح بفرحهم ، ويقضي حوائجهم ، وهو ما عبرت عنه السيدة خديجة (رضي الله عنها) بقولها : " إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ "(1)، وها هو (صلى الله عليه وسلم) يحفظ لها عهدها ، ذلك أن عجوزًا كانت تزوره (صلى الله عليه وسلم) فيقوم لها ويكرم وفادتها ، فلما سألته السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن سـر إكرامه لها ، قال (صلى الله عليه وسلم) : "إنها كانت تأتينا على عهد خديجة "(2) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول: " مَا أَبْدَلَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ "(3).

وكانت الابتسامة لا تفارق وجهه الشريف بل كان كثير التبسم ، لين الجانب كما وصفه الله (عز وجل) في كتابه الكريم فقال : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ

---

(1) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – ، حديث رقم ٣ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم– ، حديث رقم ٤٢٢ .

(2) سبق تخريجه ص ٢٥ .

(3) سبق تخريجه ص ٢٥.

الْمُتَوَكِّلِينَ"[1]،وكان (صلى الله عليه وسلم)أشجع الناس وقدوة في التضحية والفداء ، ومواجهة الأمور الصعبة ، فكان الصحابة (رضي الله عنهم) إذا اشتدت الحرب يحتمون خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يقول سيدنا علي (رضي الله عنه) : "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيِ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ"[2].

وفي يوم حنين حين اضطرب المسلمون ، وفرَّ عدد كبير منهم ، وقتل وأصيب آخـــرون ، ظل النبي (صلى الله عليه وسلم) ثابتًـا في مكانه لا يتزحزح ، يضرب بسيفه يمينًا ويسارًا ، مناديًا بأعلى صوته: " أَنَا النَّبِي لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ"[3] ، وما أن سمع المسلمون هذا النداء حتى عادت إلى قلوبهم الشجاعة ، والتفوا مرة أخرى حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقاتلون ، حتى تحقق لهم النصر.

وكان (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وأكرم الناس ، وأسخى الناس ، فقد سأل رَجُل النبيَّ (صَلَّى الله عليه وسلَّمَ) غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ ، فأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فأَتَى قَوْمَهُ فَقالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا ، فَوَ الله إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) مسند أحمد ، ج ٣ / ص ٣٦٩، حديث رقم ١٣٦٣ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب مَنْ قَادَ دَابَّةَ غَيْرِهِ فِي الْحَرْبِ ، حديث رقم ٢٨٦٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ، حديث رقم ٤٧١٥ .

عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ ، فَقالَ أَنَسٌ : إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلَّا الدُّنْيَا، فَما يُسْلِمُ حتَّى يَكونَ الإسْلَامُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا[1].

ومن النماذج التطبيقية في حياته (صلى الله عليه وسلم) في الجود ما رواه سيدنا جبير بن مطعم (رضي الله عنه) أَنَّهُ بَينا هو يَسيرُ مع رَسولِ الله (صلَّى الله عليه وسَلَّمَ) ومعهُ النَّاسُ مُقبِلًا مِن حُنَينٍ ، عَلِقَتْ رَسولَ الله (صلَّى الله عليه وسَلَّمَ) الأعرابُ يَسألونَهُ حتى اضطَرُّوهُ إلى سَمُرةٍ ، فخطِفَتْ رِداءَهُ، فوقَفَ رَسولُ الله (صلَّى الله عليه وسَلَّمَ)، فقال : أعطوني رِدائي ، فلو كانَ عَدَدُ هذه العِضاهِ نَعَمًا لَقَسَمتُهُ بينكم ، ثم لا تَجِدوني بَخيلًا ، ولا كَذُوبًا ، ولا جَبانًا" [2].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قالَ: خَرَجَ رَسولُ الله (صَلَّى الله عليه وسلَّمَ) بعد فتح مكة بمَن معهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بحُنَيْنٍ ، فَنَصَرَ الله دِينَهُ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسولُ الله (صَلَّى الله عليه وسلَّمَ) يَومَئذٍ صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ مِئَةً مِنَ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِئَةً ، ثُمَّ مِئَةً . قالَ ابنُ شِهَابٍ : حدَّثَني سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ ، أنَّ صَفْوَانَ قالَ : والله لقَدْ أَعْطَانِي رَسولُ الله (صَلَّى الله عليه وسلَّمَ) ما أَعْطَانِي ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئًا قط فقال لا وكثرة عطائه ، حديث رقم ٢٣١٢.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الشجاعة في الحرب والجبن ، حديث رقم ٣١٤٨.

وإنَّه لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَما بَرِحَ يُعْطِينِي حتَّى إنَّه لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ [1].

ومن كرمه (صلى الله عليه وسلم) ما روي عن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) قال : لما بُعث النبي (صلى الله عليه وسلم) أتيته فقال: " يا جرير ، لأي شيء جئت ؟ " قال: جئت لأسلم على يديك يا رسول الله ، قال : فألقى إلي كساءه ، ثم أقبل على أصحابه وقال : " إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه " ، وقال : وكان لا يراني بعد ذلك إلا تبسم في وجهي [2].

* * *

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه ، حديث رقم ٢٣١٣ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، بَابُ إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ: حديث رقم ٣٣٨٤.

النبي (صلى الله عليه وسلم) معلمًا ومربيًا

لقد كان رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) نعم القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا"[1] ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) خير الناس لأهله ، حيث يقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ):"خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"[2].

وقد كانت حياته (صلى الله عليه وسلم) ترجمة حقيقية لأخلاق وقيم القرآن الكريم ، فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَتْ : "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ [3] ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، قَوْلَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) : "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[4] .

ولنأخذ بعض النماذج من سيرته (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله (عز وجل) بالحكمة والموعظة الحسنة ، منها ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) عندما قام أعرابي فبال في المسجد وهمَّ به بعض الحاضرين ، فَقَالَ

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٤٢٦٩ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٤١/ ص ١٤٨ ، حديث رقم ٢٤٦٠١ .

(٤) القلم : ٤ .

لَهُمْ سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"[1].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ ، مَهْ ، فَقَالَ : "ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا" ، قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ :"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" قَالَ : "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ : لَا والله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ" قَالَ : "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ :"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ : "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ" قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : "اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"[2] ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ ، حديث رقم ٢٢٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا ، حديث رقم ٩٩ .

(٢) مسند أحمد ، ج ٣٦ / ص ٥٤٥ ، حديث رقم ٢٢٢١١ .

وعن معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه) : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ؛ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي ، لَكِنِّي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ؛ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ؛ فوالله : مَا كَهَرَنِي ، وَلَا ضَرَبَنِي ، وَلَا شَتَمَنِي ، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ..."[1].

وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ : وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله ، قَالَ: "هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟" قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : "قَدْ غُفِرَ لَكَ"[2] ، وفي رواية قال : " فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ ، أَوْ قَالَ : ذَنْبَكَ"[3].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ ، حديث رقم ١٢٢٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] ، حديث رقم ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الموضع ، حديث رقم ٤٦ .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ. قَالَ : "مَا لَكَ؟" قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟" قَالَ : لاَ، قَالَ : "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ : لاَ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَالعَرَقُ المِكْتَلُ – قَالَ : "أَيْنَ السَّائِلُ؟" فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : "خُذْهَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِ" ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله؟ فَوَ الله مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"[1] .

ولَمَّا سلط عليه أهل الطائف عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة ، ولجأ إلى ربه سبحانه وتعالى يدعوه ويضرع إليه ، فأرسل سبحانه وتعالى إليه ملك الجبال يقول له : يا محمد ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ ، حديث رقم ١٩٣٦ .

يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" [1] ، وهنا يقول جبريل (عليه السلام): "صدق من سماك الرءوف الرحيم"[2].

ولما دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة فاتحًا منتصرًا ، قال: "يا أهل مكة، مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟" قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"[3] ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ "[4] ، ويقول سبحانه: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"[5].

وعندما وجد في نفوس بعض الأنصار شيئًا أن فضل عليهم في العطاء بعض حديثي الإسلام جمعهم (صلى الله عليه وسلم) وقال : " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟أَلَمْ آتِكُمْ

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، آمينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ: حديث رقم ٣٢٢٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب مَا لَقِيَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، حديث رقم ٤٧٥٤ .

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى : ١٣٤٥هـ) ط : دار الفيحاء ، دمشق . الطبعة: الثانية ، ١٤٢٥ هـ ، ص: ٦١ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب السير ، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى ، حديث رقم ١٨٧٣٩ .

(٤) آل عمران : ١٥٩.

(٥) التوبة : ١٢٨.

ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟) قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ ، ثُمّ قَالَ : "أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟" قَالُوا : بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ الله؟ لله وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. قَالَ : " أَمَا والله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ : " أَتَيْتَنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ"، أَوَجَدْتُمْ عَلَيّ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا؟، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله إلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَوَادِيًا ، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا وَوَادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنّاسُ دِثَارٌ، اللهمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ) فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) قسمًا وحظًّا"[1] .

فليتنا نتأسى ونقتدي به (صلى الله عليه وسلم) في أخلاقنا وفي دعوتنا إلى الله (عزوجل) .

---

(١) مسند أحمد ، ج ٢٥/ ص ٨١ ، حديث رقم ١٢٠٤٩ ، وأصل الحديث متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ ، حديث رقم ٣٧٧٨. و صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِىَ إِيمَانُهُ ، حديث رقم ٢٤٨٦.

بلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أفصح العرب وأبلغهم ، وقد أوتي (صلى الله عليه وسلم) جوامع الكلم ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن تذوق الكلام ونقده ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) ، أَنَّ رَجُلًا – أَوْ أَعْرَابِيًّا – أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً "[1].

ويصف الجاحظ كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) فيقول : وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجَلَّ عن الصَّنعة ، ونُزِّه عن التكلف.. ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق ، وهو الكلامُ الذي ألقَى الله عليه المحبّةَ ، وغشّاهُ بالقَبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زَلّت به قَدَم ، ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس

---

(١) الأدب المفرد للبخاري ، بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا ، حديث رقم ٨٧٢ ، وصحيح البخاري ، كتاب الأدب ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ ، بلفظ " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً "، حديث رقم ٦١٤٥ ، وفي سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب الشعر ، بلفظ "إن من الشعر لحكمة "، حديث رقم ٣٧٥٥ ، وفي سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، بَاب مَا جَاءَ فِي الشِّعْرِ ، بلفظ " إِنَّ مِنَ البيَانِ سِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا " ، حديث رقم ٥٠١١ .

إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخِلابة ، ولا يستعمل الموارَبة ، ولا يهمِز ولا يَلْمِز، ولا يُبْطِيء ولا يَعْجَل ، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر، ثم لم يَسْمع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعًا ، ولا أقصَدَ لفظًا ، ولا أعدلَ وزنًا ، ولا أجملَ مذهبًا ، ولا أكرَم مطلبًا ، ولا أحسنَ موقعًا ، ولا أسهل مخرجًا ، ولا أفصح معنًى ، ولا أبين في فحوَى ، من كلامه (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا [1].

ومن جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم) أنه سُئِل: مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : "أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ " [2]، ووعَظ (صلى الله عليه وسلم) رجلاً ، فقال :"إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ ، وَلاَ تَكَلَّمْ بِكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا ، وَاجْمَعِ الإِيَاسَ مِمَّا فِي يَدَيِ النَّاسِ"[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ ، وَالصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ"[4] ، وقال (صلى الله عليه وسلم): " أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدُّنيا: حفظُ أمانةٍ،

---

(١) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ص : ٢٢٤ . ط : دار صعب ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ . تحقيق: المحامي فوزي عطوي .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الزهد ، باب مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ ، حديث رقم ٢٥٨٦ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٥١ / ص ٢٦١، حديث رقم ٢٤٢١٣ .

(٤) مسند أحمد ، ٣٤ / ٢٩٠، حديث رقم ١٦٥٠٦ ، وأخرجه أبو داود بلفظ: (حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ) ، سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فِي حَقِّ الْمَمْلُوكِ ، حديث رقم ٥١٦٤ .

وصدقُ حديثٍ ، وحسنُ خُلقٍ ، وعِفَّةٌ في طُعمةٍ " [1] ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الله لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ"[2].

وكان (صلى الله عليه وسلم) يستمع إلى الشعر ويثيب عليه ، وقد حث في بعض المواقف على قوله ، ودعا إلى إنشاده ، فحين تطاول بعض شعراء المشركين على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى دعوته ، قال (صلى الله عليه وسلم) : ما يمنع القوم الَّذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ، وكان يقول لحسان بن ثابت : " قل وروح القدس معك"، وفي رواية " أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس"[3].

كما أنه (صلى الله عليه وسلم) كان من أقدر الناس على تذوقه ونقده ، وكيف لا يكون كذلك وهو أفصح العرب كافة؟!

ومن نماذج ذلك :

١- أنشده كعب بن زهير (رضي الله عنه) في قصيدته الرائعة المعروفة

---

(١) مسند أحمد ، ج ١٤/ ص ٣٤١، حديث رقم ٦٨١٢ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب مَنِ اتَّقَى الْمَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ ، حديث رقم ٢٤٧٥ .

(٣) انظر: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ص ١٧ ، تحقيق الشيخ محمود شاكر، والدين الخالص ج٣ ص ٢٧١، وحسان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ص ٢٨، ٥٧، ٦٢.

بالبردة والتي يقول فيها [1] :

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ الله أَوْعَــدَني

والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضَــاءُ بِهِ

مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الله مَسْلُــولُ

فلما انتهى من إنشادها ألقى عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بردته الشريفة إكرامًا له.

وأنشده حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في رده على أبي سفيان بن الحارث [2] :

هجــوتَ محمدًا فأجبتُ عنه

وعنـد الله فــي ذاك الجــزاءُ

فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): "جَزَاؤُكَ عَلَى الله الْجَنَّةُ يَا حَسَّانُ"، ثم قال حسان بن ثابت (رضي الله عنه) :

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الشهادات ، باب مَنْ شَبَّبَ فَلَمْ يُسَمِّ أَحَدًا لَمْ تُرَدَّ شَهَادَتُهُ ، حديث رقم ٢١٦٧٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ (رضى الله عنه) ، حديث رقم ٦٥٥٠. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ (اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ)، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: (اهْجُهُمْ)، فَهَجَاهُمْ ، فَلَمْ يُرْضِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ...الحديث.

فإنَّ أبي ووالـــــده وعرضي

لعرض محمـدٍ منكـــم وقاءُ

فقال له: "وقاك الله حر النار يا حسان" ، فدعا له بالجنة مرتين في ساعة واحدة [1].

٢- أتى النابغة الجعدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنشده قـوله :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهـــــدى

ويتلـو كتـــابًا كالمجـــــــرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجــــــــدودنا

وإنا لنرجـو فوق ذلك مظـــــــهرًا

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : إلى أين يا أبا ليلى؟ ، فقال : إلى الجنة يا رسول الله ، قال: أجل إن شاء الله ، ثم أنشده الجعدي قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكـن له

بوادر تحمى صفوه أن يكـــدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أجدت ، لا يفضض الله فاك، فبقى عمره لم تسقط له سن ، وكان معمرًا [1].

---

(١) العمدة لابن رشيق ، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: دار الجيـل ، بـيروت ج١ ص ٥٣.

٣- مر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا نزلت بآل عبـد الـــدار

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر ؟ قال: لا، يا رسول الله ، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال (صلى الله عليه وسلم) : هكذا كنا نسمعها [٢].

٤- وعندما قال عبد الله بن رواحة :

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم

فينا النبـــي وفينــا تنـزل الســــــور

وقــــد علمتم بأنا ليس يغلبنـــــــا

حي من الناس إن عــزوا إن كثروا

فلما انتهى إلى قوله في النبي (صلى الله عليه وسلم) :

فثبـــت الله ما أعطاك مـن حســـــن

---

(١) انظر: الشعر والشعراء ص ١٨١ ، ودلائل الإعجاز ص ٢١، ٢٢، وجمهرة أشعار العرب ص٢٣.

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢١، وانظر: الأمالي للقالي ، ج١ ص ٢٨٩، ٢٩٠ ، والشعر لمطرود بن كعب الخزاعي يرثى عبد المطلب جد النبي (صلى الله عليه وسلم) .

تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصـروا

أقبل عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بوجهه ، وقال : وإياك فثبت الله يابن رواحة[1].

٥- روي أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة (رضى الله عنها) أنشدت قول قيس بن معدان الكلبى:

عدي وتيم تبتغي من تحالف[2].

فظنت عائشة وحفصة (رضي الله عنهما) أنها عرضت بهما ، وجرى بينهن كلام في هذا المعنى ، إذ كان أبو بكر (رضي الله عنه) من تيم قريش ، وعمر (رضي الله عنه) من عدي قريش ، فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك فدخل عليهن ، وقال : " يا ويلكن ، ليس في عديكن ولا تيمكن قيل هذا ، وإنما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم"[3]. وفي ذلك بيان مدى فطنته (صلى الله عليه وسلم) ومعرفته بدقائق الأخبار .

٦- عن محمد بن سلمة الأنصاري قال : كنا يومًا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال لحسان بن ثابت : أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية ، فإن الله

---

(١) العمدة ج١ ص ٢١٠.

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره: ألا من رأى العبدين أو ذُكِرا له ؟ عدي وتيم...

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، تحقيق : أ/ محمود شاكر ، ط : مكتبة الخانجي ١٩٨٤م ، ص ٢٠.

قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته ، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة يقول فيها:

علقـم ما أنـــت إلى عــامر

الناقض الأوتار والواتر ؟!

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا ، فقال : يا رسول الله ، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا حسان ، أشكـر الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني – وفي رواية فشعث مني – وإنه سأل هذا – يعني علقمة بن علاثة – عني فأحسن القول، فشكره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ، وروي أن حسان قال - بعد أن سمع ما سمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) -: يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره [1].

٧- لما سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) قول كعب بن زهير– قبل إسلامه – يحذر أخاه بجيرًا من اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيقول :

ألا من مبلغ عنـي بجيرًا رســالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لك

سقاك بها المأمــون كأسًــا روية

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

فأنهلك المأمــون منـها وعلكـــا

ففارقت أسباب الهدى واتبعـــــه

على أي شيء ويب غيرك دلكـــا

على خلق لم تلف أمـــــا ولا أبا

عليه ولم تعرف عليـه أخـا لكـــا

فـــإن أنت لم تفعل فلست بآسف

ولا قـــائل إمـــا عثرت لعًا لكا

فلما سمع (صلى الله عليه وسلم) قوله : " سقاك بها المأمون " قال : مأمون والله- فقد كانوا يسمون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المأمون - ولما سمع قوله :

على خلق لم تلف أما ولا أبا
عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا

قال (صلى الله عليه وسلم) : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه ، ثم قال : "من لقي منكم كعب ابن زهير فليقتله" .

ثم جاءه كعب تائبًا ، وأنشده قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول

متيـــم إثـــرها لم يفد مكبـــول

فلما انتهى إلى قوله:

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ الله أَوْعَــدَني

والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُـولُ

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِـــهِ

مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الله مَسْلُــولُ

ألقى النبي (صلى الله عليه وسلم) [1] عليه بردة كان يلبسها ، ويروى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أصلح البيت ، إذ قال كعب : مهند من سيوف الهند ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : من سيوف الله [2]، فأقام اللفظ والمعنى.

فلما وصل كعب إلى قوله في وصف أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) :

في فتية من قريش قال قائلهـــــم

ببطن مكة لما أسلـــــموا زولوا[3]

زالوا فما زال أنكـــاس ولا كشف

عند اللقــــاء ولا ميـل معازيل[4]

---

(١) راجع : شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ، ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) انظر : محاضرات في النقد الأدبي للأستاذ الدكتور/ محمد عرفة المغربي ، ص ٣٧.

(٣) زولو : انتقلوا من مكة إلى المدينة ، يعنى الأمر بالهجرة.

(٤) الأنكاس : جمع نكس ، وهو الضعيف المهين ، الكشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس معـه في الحرب ، الميل: جمع أميل ، وهو الذى لا سيف معه ، أو الذى لا يحسن الركوب ، المعازيـل: جمـع معزال ، وهو الذي لا سلاح معه .

شم العرانين أبطـــــال لـــبوسهم

من نسج داود في الهيجا سـرابيل [1]

لا يفرحون إذا زالت رماحـــــهم

قومًا وليسوا مجازيعا إذا نيـــلوا [2]

جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر إلى من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ إليهم أن اسمعوا [3].

٨- روي أن الأعشى – ميمون بن قيس – خرج يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال شعرًا ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته ، ولما أنشد – بالبناء للمجهول – شعره الذي يقول فيه :

فآليت لا أرثى لها من كلالـــــة

ولا من حفـــا حتى تلاقى محمدًا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم

تفوزى وتلقى من فواضـــله يدا

---

(١) الشم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه. العـرانين : جمـع عـرنين وهـو الأنف ، والمراد أن فيهم استعلاء وأنفه. والسرابيل : جمع سربال ، وهو الدرع أو كل ما يلـبس في الحرب .

(٢) مجازيع : جمع مجزاع ، وهو الشديد الجزع .

(٣) انظر: شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٧٢.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : كاد ينجو ولما [1] ، أي ولم يحصل له الفوز بالإسلام والنجاة.

٩- وفى كتاب الأغاني أن النبي (صلى الله عليه وسلم) علق على شعر ثلاثة الأنصار حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة، فقال: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى" [2].

وحقًّا إن حسان يتقدم صاحبيه في الشعر بصفة عامة ، فهو أشعر شعراء المدينة[3] ، وفي هجاء أعداء الإسلام بصفة خاصة ، إذ بلغ فيه درجة جعلت الأعداء يرهبون لسانه ، "ولقسوة هجائه استعاذ الحارث ابن عوف منه بالرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلا : يا محمد أنا عائذ بك من شعره ، فلو مزج البحر بشعره مزجه "[4].

١٠- وفي مجال الاستحسان كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يقول للسيدة عائشة (رضي الله عنها) : أبياتك ، فتنشده :

ارفع ضعيفـــك لا يحر بـك ضعفه

---

(١) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، ط: دار صادر بيروت ، ص ٦٧.

(٢) الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، ط:مطبعة التقدم بمصر ، ج ٤ ص ٦.

(٣) انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١ ص ٢١٥.

(٤) حسان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ، ص ٥٨، ط : دار المعارف .

يومًا فتـــــــدركه العواقب قـــد نما

يجزيك أو يثني عليــك وإن مــــن

أثنى عليك بما فعلـت فقد جـــــزى

فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده: صنع إليك عبدي معروفًا فهل شكرته عليه؟ فيقول : يارب ، علمت أنه منك فشكرتك عليه" ، قال : فيقول الله (عز وجل) : لم تشكرني ، إذ لم تشكر من أجريته على يده " [1].

وعندما سمع (صلى الله عليه وسلم) قول قتيلة بنت النضر بن الحارث تبكي أباها ، وتعتب على النبي (صلى الله عليه وسلم) في قتله ، فتقول :

يا راكبا إن الأثيــــــل مظنـــة

من صبح خامسة وأنت مـــوفق

أبلـــغ به ميتًـــا بأن قصيـــدة

مـــا إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليه ، وعبرة مسفوحـــــة

جـــادت لمائحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر إن نـــــاديته

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ص ١٩، ٢٠، وقد ذكر الشيخ محمـود شـاكر في تحقيقـه أن الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ج ١ / ص ١٦٣.

أم كيف يسمع ميت لا ينطـق؟

ظلت سيوف بني أبيه تنوشـــه

لله أرحــــام هنـــاك تشقـــق

قسرًا يقـــاد إلى المنيـــة متعبًا

رسف المقيد وهـوعان مــــوثق

أمحمد هــا أنت نجل نجيـــبة

من قومـها واحل فحـــل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربمـــا

من الفتى وهو المغيظ المــحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة

وأحقهــــم إن كـــان عتق يعتق

قال (صلى الله عليه وسلم) : لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه [1].

* * *

---

(١) العمدة لابن رشيق ، ج١ / ص٥٦، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢ / ص ٢٩، ٣٠.

مهارات التواصل الدعوي
في السنة النبوية المشرفة

لقد ضرب لنا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أعظم المثل في استخدام مهارات التواصل الدعوي بمختلف أنواعها حتى وإن لم يسمها بذلك ، أو لم تعرف في زمانه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بهذا الاسم ، فقد أداها بما آتاه الله (عز وجل) وعلمه إياه من البلاغة والفصاحة والبيان ، وما آتاه من جوامع الكلم وأدواته ووسائله ، ومع ذلك كله حرص (صلى الله عليه وسلم) على التنوع في الأسلوب واستخدام سائر مهارات التواصل الدعوي للنفاذ إلى عقل المتلقي وقلبه ، وإثارة اهتمامه وانتباهه ، وإيقاظ مشاعره ، ومن هذه المهارات :

١- مهارات لغة الجسد الرصينة المتزنة ، كتغيير وضع الجسد لإثارة الانتباه، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ" قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : " الإِشْرَاكُ بِالله ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ" وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : " أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لاَ يَسْكُتُ[1] .

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكَبَائِرِ ، حديث رقم ٥٩٧٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ، حديث رقم ٢٦٩ .

فلا شك أن تغيير النبي (صلى الله عليه وسلم) وضعه من الاتكاء إلى الجلوس كان على سبيل إثارة انتباه السامع والمتلقي إلى أهمية ما سيلقي من الكلام ، وأن له خصوصية اقتضت تغيير النبي (صلى الله عليه وسلم) لوضع جسده الشريف من الاتكاء إلى الجلوس ، تأكيدًا على خطورة وأهمية ما سيذكر بعده من قول الزور ، لما يترتب عليه من الظلم وضياع الحقوق ، والتحذير من خطورة الوقوع فيه ومغبته وسوء عاقبته .

ومنها الإشارة إلى القلب ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ [1] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا "، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ " [2].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، وَخَذْلِهِ ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ ، حديث رقم ٢٥٦٤ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا } ، حديث رقم ٥١٤٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ، حديث رقم ٦٧٠٦ .

ومنها الإشارة ببعض أصابعه كالإشارة بالسبابة والوسطى ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا " وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا " [1]، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: "صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ "، وَيَقُولُ : "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ "، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ..[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ"، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ [3].

ومنها الإشارة إلى اللسان ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه: "أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ " [4].

وقد حرص نبينا (صلى الله عليه وسلم) على تنويع أساليبه الدعوية ، واستخدام سائر مهارات التواصل الـدعوي ، للنفاذ إلى عقل المتلقي وقلبه ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، حديث رقم ٥٣٠٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ ، حديث رقم ٢٠٤٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب فَضْلِ الإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ ، حديث رقم ٦٨٦٤ .

(٤) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الْبُكَاءِ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، حديث رقم ١٣٠٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ ، حديث رقم ٢١٧٦ .

وإثارة اهتمامه وانتباهه ، ومنها:

٢- استخدام لغة الأرقام للتحديد والحصر ، أو التقريب الذهني ، على حد قوله (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "[١] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم): " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " [٢]، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " [٣].

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حَلاَوَةِ الإِيمَانِ ، حديث رقم ١٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ ، حديث رقم ١٧٤ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم: ٣٣. وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم ٢٢٠ .

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم ٣٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ ، حديث رقم ٢١٩.

رَمَضَانَ " [1] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغلكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "[2]، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ "، قِيلَ : مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ "[3] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " [4] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ،

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي(صلى الله عليه وسلم) : " بني الإسلام على خمس" ، حديث رقم ٨ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، كتاب الإيمان ، باب قَوْلِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) "بُنِىَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ" ، حديث رقم ٧ .

(٢) شعب الإيمان ، الحادي و السبعون من شعب الإيمان وهو باب في الزهد وقصر الأمل ، ج ١٢/ ص ٤٧٦ ، حديث رقم ٩٧٦٧ .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم: صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، حديث رقم ١٢٤٠ . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلاَمِ ، حديث رقم ٥٧٧٨ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب مَا جَاءَ فِى الْمُبَادَرَةِ بِالْعَمَلِ ، حديث رقم ٢٤٧٦ .

وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ"(١) .

٣- استخدامه (صلى الله عليه وسلم) للرسم التوضيحي كمهارة من مهارات التواصل ، فعن ابن مسعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : خَطَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) خَطًّا مُرَبَّعًا ، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطَّ خُططًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ ، فَقَالَ : هَذَا الإِنسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ - أَوْ : قَد أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا "(٢) .

وعنه (رضي الله عنه) قال : "خطَّ رسولُ الله (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) خطًّا بيدِه ثم قال : هذا سبيلُ الله مستقيمًا ، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال : هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه "، ثم قرأ :

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب قَوْلِ الله تَعَالَى { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } ، حديث رقم ٢٧٦٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ، حديث رقم ٢٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب فِى الأَمَلِ وَطُولِهِ ، حديث رقم ٦٤١٧ .

"وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ"[1] " [2].

فالسنة النبوية المطهرة أنموذج في مهارات التواصل الدعوي التي حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على تنويعها لإثارة اهتمام وانتباه السامعين، ولتحقيق أكبر فائدة للتواصل الدعوي، ونذكر منها أيضًا:

٤- استخدام ضرب الأمثلة التوضيحية، ومنها : ما روي عن أبي موسى (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" [3].

---

(١) الأنعام : ١٥٣.

٢) هذا لفظ مسند أحمد، ج ٧/ ص ٤٣٦، حديث رقم ٤٤٣٧ .وأخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ، حديث رقم ٦٤١٧. ولفظه: عَنْ عَبْدِ الله (رضى الله عنه) قَالَ: خَطَّ النَّبِىُّ (صلى الله عليه وسلم) خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِى الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِى فِى الْوَسَطِ، مِنْ جَانِبِهِ الَّذِى فِى الْوَسَطِ وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِى هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ".

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب الْمِسْكِ، حديث رقم ٥٥٣٤ . وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ، حديث رقم ٦٨٦٠ .

ومنه أيضا ما روي عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[1].

٥- استخدام أسلوب الاستفهام في الخطاب الدعوي يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ " ، قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "[2].

وفيه أيضًا الإلغاز لتنشيط أذهان المستمعين ، ومنه ما روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِي ؟ ، قَالَ:

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ ، حديث رقم ٦٠١١ . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ، حديث رقم ٦٧٥١ .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآدب ، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ، حديث رقم ٦٧٤٤ .

فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قَالَ عَبْدُ الله : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، ثُمَّ قَالُوا :حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : "هِيَ النَّخْلَةُ"(١).

٦- ومن مهارات التواصل الدعوي في السنة النبوية مهارات استخدام أسلوب الإقناع والاستدلال العقلي ، وتأييده بما هو مسلم لدى المتلقي في أرض الواقع ، ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ" قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: "مَا أَلْوَانُهَا" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ : "هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ" قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : "فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ" قَالَ : أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ ، قَالَ: "فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ"(٢) .

٧- التبسم كناية عن الرضا ، ومنه ما روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ:

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب طَرْحِ الإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، حديث رقم ٦٢ ، وصحيح مسلم ،كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ ، حديث رقم ٧٢٧٦ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، بَابُ إِذَا عَرَّضَ بِنَفْيِ الوَلَدِ ، حديث رقم ٥٣٠٥ . وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا ، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ ، حديث رقم ١٥٠٠ .

اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ نَعَمْ ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً ، فَيَقُولُ : رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ "[1].

٨- الإعراض كناية عن عدم الرضا ، ومنه عن أنس (رضي الله عنه) قال : اسْتَشَارَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) النَّاسَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ: "إِنَّ الله قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ" ، قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ ، قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ : ثُمَّ عَادَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الله قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ" قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله: اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ ، قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: ثُمَّ عَادَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِلنَّاسِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، نَرَى أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُمْ ، وَتَقْبَلَ مِنْهُمُ الْفِـدَاءَ ، قَالَ : فَذَهَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا كَانَ فِيهِ

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا ، حديث رقم ٤٨٧ .

مِنَ الْغَمِّ ، قَالَ : فَعَفَا عَنْهُمْ ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ .." [1].

٩- تكرار الكلمة أو الجملة لتثبيت الأمر في عقل السامعين والصبر على السائلين وعدم التضجر من أسئلتهم ، ومنه ما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ" ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : "مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ" [2].

---

(١) مسند أحمد ، ج ٢١ / ص ١٨١، حديث رقم ١٣٥٥٥ . وفي حديث ابن عباس (رضى الله عنهما) في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ ، حديث رقم ٤٦٨٧ . ولفظه: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) لأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ : « مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِىَّ الله هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» ، قُلْتُ : لاَ والله يَا رَسُولَ الله مَا أَرَى الَّذِى رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّى أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِىَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِى مِنْ أَىِّ شَىْءٍ تَبْكِى أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : « أَبْكِى لِلَّذِي عَرَضَ عَلَىَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ». شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِىِّ الله (صلى الله عليه وسلم) ، وَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا) فَأَحَلَّ الله الْغَنِيمَةَ لَهُمْ).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، حديث رقم ٦٦٧٤ .

مع تأكيدنا أن مهارات التواصل الدعوي في عصرنا الحاضر تتطلب – إضافة إلى كل هذه المهارات التي نتعلمها من سنة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – الإلمام الكافي بالتعامل مع سائر وسائل التواصل العصرية والتكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة بمهارات فائقة تواكب العصر ومستجداته ومتطلباته .

* * *

أساليب التواصل الدعوي
في السنة النبوية المشرفة

أولا : الخطابة :

لقد نهضت الخطابة في صدر الإسلام نهضة عظيمة ، فَعَلا شأنها ، وارتفع قدرها، وتبوأت مكانة عليا بين فنون القول وألوان البيان ؛ فقد فتح الإسلام أمام الخطابة مجالات عديدة ، فارتفعت رايتها في الجمع والأعياد ، وفي مجالس الصلح والنكاح ، وسائر الجوانب الدينية والوطنية والاجتماعية .

ولم يقف تقدير الإسلام للخطابة عند توسيع نطاقها ، إنما أضفى عليها شيئًا من القداسة ، وجعلها داخلة في كثير من العبادات ، وندب الناسَ إلى سماعها والإنصات إليها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) :"لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ[1]، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ ، فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى" [2].

وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) تحذيرًا شديدًا من الكلام في أثناء خطبة الجمعة ولو كان طلبًا للإنصات ، فقال (صلى الله عليه وسلم) :" إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَنْصِتْ ، فَقَدْ لَغَوْتَ "[3].

---

(١) قوله: "يدهن" المراد به إزالة شعث الشعر به، وفيه إشارة إلى التزين يوم الجمعة.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ ، حديث رقم ٨٨٣ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإِنْصَاتِ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، حديث ٩٣٤.

وقال ابن حجر: ويدل على وجوب الإنصات حديث علي (رضي الله عنه) : " وَإِنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَسْتَمْكِنُ فِيهِ مِنَ الِاسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ فَلَغَا وَلَمْ يُنْصِتْ كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنْ وِزْرٍ ، وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ : صَهْ ، فَقَدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ(1) ؛ لأن الوزر لا يترتب على من فعل مباحا ولو كان مكروهًا كراهة تنزيه(2).

ولنأخذ أنموذجًا من خطبه (صلى الله عليه وسلم) وهو في حجة الوداع ، حيث خطب (صلى الله عليه وسلم) في الناس في ذلكم المشهد الجامع المهيب ، فقال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هوخير.

أما بعد :

أيها الناس: اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

---

(1) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب فَضْلِ الْجُمُعَةِ ، حديث رقم ١٠٥٣ ، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣/ ٢٧١ ، باب المنع من الكلام والإمام يخطب .

(2) فتح الباري لابن حجر ، ج ٢/ ص ٤١٥ .

أيها الناس :

إن دماء كم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلَّغتُ؟ اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى الذى ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمِّي العباس بن عبد المطلب ، وإنَّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة [1] ، والسقاية ، والعمد والقود[2] ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس:

إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس :

"إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ الله زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" [3]، يحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ الله اثْنَا عَشَرَ

(١) السدانة: خدمة الكعبة.

(٢) العمد : القتل المتعمد – والقود : القصاص ، قتل القاتل بالقتيل.

(٣) سورة التوبة : ٣٧.

شَهْرًا فِي كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ "[1] ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد .

أيها الناس :

إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن[2] ، وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان [3] لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس :

إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وسنتي ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد .

---

(١) سورة التوبة : ٣٦.

(٢) تعضلوهن : تضيقوا عليهن.

(٣) عوان : جمع عانية ، وهي الأسيرة ، أي : هن عندكم بمنزلة الأسرى .

أيها الناس:

إن ر بكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلُّكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير ، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس:

إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، فلا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل [١]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].

وقفة مع هذه الخطبة الجامعة :

لقد وقف النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا الموقف العظيم ليعلن في هذه الخطبة الجامعة – التي هي أشبه ما تكون بوصايا مودع – عن طائفة من التشريعات الإسلامية العظيمة ، والتي كان من أهمها:

---

(١) لا يقبل منه صرف ولا عدل: أى لا يقبل منه شيء ، وأصل العدل أن يقتل الرجل بالرجل، والصرف أن ينصرف الدم إلى أخذ الدية.

(٢) الخطبة فى البيان والتبيين ، ج ٢/ ص ٣١ ، وتاريخ الطبري ، ج ٣/ ص ١٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ص ٤٤٧.

١ـ حرمة الدماء والأموال :

لم يكد النبي (صلى الله عليه وسلم) يلم بالحمد والشهادة والوصية بالتقوى حتى أعلن عـن حرمة الدماء والأموال ، فدماء المسلمين وأموالهم حرام كحرمة يوم عرفة في هذا الشهر الحرام (شهر ذي الحجة) في هذا البلد الحرام (مكة المكرمة).

ولم يكتف (صلى الله عليه وسلم) بهذا التأكيد فعاد في آخر خطبته ليؤكد هـذا الأمر مرة أخرى ، إذ يقول: "ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه"،"فلا تَرْجِعُنَّ بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض".

وقد أسقط النبي (صلى الله عليه وسلم) ربا الجاهلية ، وبدأ بأقرب الموسـرين إليه العباس بن عبد المطلب ، حيث قال : "وأول ربا أضع ربا عمي العباس بن عبد المطلب" ، وأسقط دماء الجاهلية وبدأ بأقرب الدماء إليه ،" أول دم أضع دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب".

وبذلك ندرك البون الشاسع بين المنهاج النبوي الذي يبدأ فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنفسه وأقرب الناس إليه – حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعـت يدها" [1] – وبين كثير ممن تتملكهم المحابـاة والمجاملة فإذا سرق فيهم

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مَقَامُ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) بِمَكَّةَ زَمَنَ الْفَتْحِ ، حديث رقم ٤٣٠٤ .

الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، إنه الفارق العظيم بين عدالة السماء وطغيان البشر.

٢ - التحذير من التلاعب بالأشهر الحرام :

فقد كان العرب إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرًا آخر، فيستحلون المحرم ويحرمون صفرًا ، فإن احتاجوا – أيضًا- أحلوه وحرموا ربيعًا الأول، وهكذا كانوا يعملون حتى استدار التحريم على السنة كلها [1].

وقيل: إن المشركين كانوا يحسبون السنة اثني عشر شهرًا وخمسة عشر يومًا ، فكان الحج في رمضان، وفي شوال ، وفي ذي القعدة ، وفي كل شهر من السنة ، وذلك بحكم استدارة الشهر بسبب زيادة الخمسة عشر يومًا.

وكان حج أبي بكر في السنة التاسعة من الهجرة واقعًا في شهر ذي القعدة بسبب ذلك ، فلما حج النبي (صلى الله عليه وسلم) وافق حجه ذا الحجة في العشر الأول منه ، فأعلن (صلى الله عليه وسلم) نسخ الحساب الذي كانوا يحسبون به الزمن ، وأكد أن السنة إنما هي اثنا عشر شهرا فقط ، فلا تداخل بعد اليوم : يوم عرفة الذي حج فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [2].

---

(١) روح المعاني للألوسي جـ ١٠ ص ٩٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٣٧، ١٣٨، وفقه السيرة لمحمد سعيد البوطي ص ٣٤٣ ط دار الفكر عام ١٩٧٨م.

قال القرطبي: " وهـذا القول أشبه بقول النبي (صلى الله عليـه وسـلم) : " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ.."[1] أي : إن زمان الحج قد عاد إلى وقته الأصلي الذي عينـه الله يـوم خلـق السماوات والأرض[2].

٣ـ الوصايا بالنساء :

أوصى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالنساء خيرًا ، وأكد في كلمة موجزة جامعة القضاء على الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية ، وحفظ لها حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية.

ولقد كانت هذه الحقيقة جديرة بتأكيـد الوصية بـها بسبب مـن كانوا حديثي عهد بالإسلام قريبي عهد بتقاليدهم الجاهلية الـتي تقضي بإهمال شئون المرأة وعدم الاعتراف لها بأي حق[3] ، فوضع النبي (صلى الله عليه وسلم) – لهـم وللناس جميعًا إلى أن تقوم الساعة – ما للمرأة من حقوق، وما عليها من الواجبات.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قَوْلِهِ { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ }، حديث رقم ٤٦٦٢ .

(٢) تفسير القرطبي جـ٨ / ص ١٣٨.

(٣) فقه السيرة للبوطي ص ٣٤٤.

٤ـ تقرير مبدأ الأخوة والمساواة :

أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، فلا فضل للون أو جنس ، ولا مزية لوطن أو لغة ، إنما هو مقياس واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس جميعًا وهو قوله تعالى : "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ" (١).

كما أكدت الخطبة على ضرورة الالتزام بمنهج الله وإعطاء كل وارث حقه وأنه لا وصية لوارث ، وأن الوصية لا تجوز فيما زاد على الثلث ، وأن الولد للفراش وللعاهر الحجر .... إلخ .

وهذه الخطبة صورت في دقة بالغة حس منطق الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خطبته ، وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع متكلف ولا بلفظ غريب ، فقد كان يكره اللونين جميعًا من الكلام ، لما يدلان عليه من التكلف ، وقد برأه الله تعالى منه ، إذ يقول في كتابه العزيز على لسانه (صلى الله عليه وسلم) : " قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ "(٢).

---

(١) سورة الحجرات : ١٣.

(٢) سورة ص : ٨٦ ، وانظر : العصر الإسلامي د/ شوقي ضيف ص ١٢٠.

ثانيًا : الموعظة :

إذا كان وقت الخطابة وزمانها محددًا بوقته المحدد ، فإن وقت الموعظة أكثر سعة ورحابة ، وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يعظُ أصحابَه ويتعهدهم بها ، ولا يكثر عليهم في ذلك خشية السآمة عليهم ، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يَتَخَوّلنا بالموعظة في الأيام ، كراهة السآمة علينا " [(١)] .

وعن تأثير موعظة النبي (صلى الله عليه وسلم) في نفوس الصحابة (رضي الله عنهم) يحدثنا سيدنا حنظلة بن الربيع (رضي الله عنه) به ؛ حيث قال : نَكونُ عندَ رسولِ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) يذَكِّرُنا بالنَّارِ والجنَّةِ كأَنَّا رأيَ عينٍ ، فإذا رجَعنا إلى الأزواجِ والضَّيعةُ نسينا كثيرًا ، قال : فوالله إنَّا لكذلِكَ ، انطلِقْ بنا إلى رسولِ الله (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) فانطلقْنا ، فلما رآهُ رسولُ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) قالَ : ما لَكَ يا حنظلةُ ؟ قالَ : نافقَ حنظلةُ يا رسولَ الله ، نَكونُ عندَكَ تُذَكِّرُنا بالنَّارِ والجنَّةِ كأنَّا رأيَ عينٍ ، فَإِذَا رجَعنا عافَسنا الأزواجَ والضَّيعةَ ونسينا كثيرًا ، قالَ : فقالَ رسولُ الله (صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ) :" لَو تدومونَ على الحالِ الَّتي تقومونَ بِها من عندي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب مَا كَانَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَي لاَ يَنْفِرُوا ، حديث رقم ٦٨ .

لصافحَتكمُ الملائِكَةُ في مجالسِكُم ، وفي طرقِكُم ، وعلى فُرُشِكُم ، ولكِن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً ساعةً وساعةً"[1].

وعن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ، قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ؛ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"[2].

ثالثًا الوصايا :

كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتعهد أصحابه بالموعظة العامة، كان يتعهدهم بالوصايا العامة والخاصة ، ومن الوصايا العامة قوله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه :" أُوصِيكُمْ بِتَقْوى الله ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشيٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافًا كثِيرًا ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَالاِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا ، رقم ٧١٤٢.

(٢) سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ ، حديث رقم ٢٨٩١ .

فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ "[1] .

ومن وصاياه (صلى الله عليه وسلم) العامة وصيته بالجار ، فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " أُوصِيكُمْ بِالْجَار"[2] ، ووصيته (صلى الله عليه وسلم) بالنساء ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا "[3] .

ومن وصاياه (صلى الله عليه وسلم) الخاصة ما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : "أوصاني خليلي (صلى الله عليه وسلم) بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أُوتر قبل أن أنام"[4].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب أبواب السنة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، حديث رقم ٤٢ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، ج ٧ / ص ١١٧، حديث رقم ٧٣٩٩ . وأصل المتن متفق عليه بلفظ: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الْوَصَاةِ بِالْجَارِ ، حديث رقم ٢٨٩١ . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، حديث رقم ٦٨٥٢ .

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، حديث رقم ٣٣٣١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ ، حديث رقم ٣٧٢٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ، حديث رقم ١٩٨١ .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلًا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : أوصني ، قال : "لاَ تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ:"لاَ تَغْضَبْ"[1].

ومنها وصيته (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا معاذ (رضي الله عنه) : " يَا مُعَاذُ والله إِنِّي لأُحِبُّكَ ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعاذُ لاَ تَدَعنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ تَقُولُ: اللهم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وحُسنِ عِبَادتِك "[2].

ومنها وصيته (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا أبي ذر (رضي الله عنه) قال:".. قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي ، قَالَ : أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله زِدْنِي ، قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ الله فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذُخْرٌ لك في السماء ، قلت : يَا رَسُولَ الله زِدْنِي ، قَالَ : إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ .." [3].

ومنها ما روي عن جَرْمُوز الْهُجَيْمِيّ (رضي الله عنه) قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَوْصِنِي ، قَالَ : "أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا"[4] ، ومنها ماروي عن أبي

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ الله ، حديث رقم ٦١١٦ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب فِي الِاسْتِغْفَارِ ، حديث رقم ١٥٢٤ .

(٣) صحيح ابن حبان ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّاعَاتِ وَثَوَابِهَا ، ذِكْرُ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظٌّ رَجَاءَ التَّخَلُّصِ فِي الْعُقْبَى بِشَيْءٍ مِنْهَا ، حديث رقم ٣٦١ .

(٤) مسند أحمد ، ج ٣٤ ، ص ٢٧٨ ، حديث رقم ٢٠٦٧٨ .

برزة الأسلمي قال : قلت يا رسول الله دلّني على عمل يدخلني الجنة ، قال : "أمط الأذى عن طريق الناس"[1].

رابعًا : الرسائل :

ومن وسائل التواصل الدعوية (الرسائل) التي استخدمها النبي (صلى الله عليه وسلم) في مخاطبته الملوك والرؤساء ، وعن عبد الرحمن بن عبد القاريّ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعث حاطبة بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية – يعني بكتابه معه إليه– فقبل كتابه ، وأكرم حاطبًا وأحسن نزله ، ثم سرَّحه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأهـدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسـرجها وجـاريتين ، إحـداهمـا أم إبراهيم ، وأما الأخرى فوهبها لجهم بن قيس العبدري ، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة لعمرو بن العاص على مصر[1].

ومن رسائله (صلى الله عليه وسلم) :

١ـ رسالته (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي عظيم الحبشة :

وقد حملها إليه الصحابي الجليل سيدنا عمرو بن أُمية الضمري(رضي الله عنه)، ونصها : " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ

(١) الأدب المفرد ، باب إماطة الأذى ، حديث رقم ٢٢٨ . وبمعناه في صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ، حديث رقم ١٣١ .

(١) الطحاوي في مشكل الآثار : ٢٥٧.

عَظِيمِ الْحَبَشَةِ ؛ أَسْلِمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ الله مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ الله ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى الله (عَزّ وَجَلّ) وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْت فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهدى"[1].

٢ـ رسالته (صلى الله عليه وسلم) للمنذر بن ساوى التميمي والي البحرين :

وقد حملها إليه الصحابي الجليل " العلاء بن الحضرمي" (رضي الله عنه) ، وجاء فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى: سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، أما بعد ، فَإِنِّي أَذْكُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ ، فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي ، وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ ، فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ ، فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْك خَيْرًا ، وَإِنِّي شَفَّعْتُك فِي قَوْمِك ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ،

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، جماع أبواب المبعث ، باب ما جاء في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي ، حديث رقم ٦٠٣ .

وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَإِنَّك مَهْمَا تَصْلُحْ ، فَلَنْ نَعْزِلَك عَنْ عَمَلِك"[1] .

٣ـ رسالته (صلى الله عليه وسلم) للحارث الغساني ملك الحيرة:

وقد حملها إليه الصحابي الجليل " شجاع بن وهب الأسدي" (رضي الله عنه) ، ونصها : " من محمد رسول الله إلى الحارث بن شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يَبْقَى لك ملكك"[2].

* * *

وفي تنوع أساليب ووسائل الدعوة ما بين الحديث الشريف ، والخطبة ، والموعظة ، والوصية ، والرسالة ، مع استخدام سائر مهارات التواصل الدعوي ما يؤكد حرص نبينا (صلى الله عليه وسلم) على إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، وإقامة الحجة واضحة وبينة جلية لا لبس فيها .

وإذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قال : "تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبدًا "[3] فإن من واجبنا أن نسير على نهجه

---

(١) نصب الراية لأحاديث الهداية ، لعبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، ط: دار الحديث ، مصر، ١٣٥٧ ، تحقيق : محمد يوسف البنوري ، ج ٤ / ص ٥٠١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٧١ حديث رقم (٣١٨) دار الكتب العلمية ، بيروت.

(صلى الله عليه وسلم) في البلاغ المبين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن منطلق قوله تعالى : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"[1] مؤمنين أن دورنا هو البلاغ المبين ، وأن أمر الهداية لله وحده ، حيث يقول سبحانه : " إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ "[2] ، ويقول سبحانه : " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[3] ، ويقول سبحانه: " لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ الله وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ" [4] .

نسأل الله (عز وجل) لنا تمام الهداية والقبول والسداد والتوفيق ، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

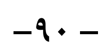
---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الشورى : ٤٨ .

(٣) القصص : ٥٦ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .



فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



رقم الإيداع :